**المحاضرة السابعة**:

**الأدب والثقافة**

**تمهيد:**

لو تتبعنا تطورات مصطلح أدب، سنجد أنه متغير داخل الأدب الواحد، كما أنه يختلف من أدب إلى آخر، كما أن هذا المصطلح لم يعرف الاستقرار، إلا بعد أن تقاربت الآداب العالمية وانفتح بعضها على بعض. فمثلا لو عدنا إلى الأدب العربي سنجد أن مصطلح أدب بدأ بمعنى الدعوة إلى الطعام، ثم أخذ مفهوما أخلاقيا من التأديب وحسن الخلق، وانتهى كما عرفه الجاحظ بأنه "الأخذ من كل علم بطرف". وهذا المفهوم الموسوعي نفسه هو ما دفع ابن خلدون إلى إطلاق كلمة "أدب" على مختلف المعارف الدينية والدنيوية " وإنما المقصود به عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم. ثم إنهم إذا أراد أحد هذا الفن قالوا الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها، والأخذ من كل علم بطرف"

بينما شمل في الأدب الغربي "جميع الكتابات النوعية التي يمكن أن تدعي الخلود" بل إن السؤال بقي يلح على الفلاسفة كما على النقاد والأدباء، فجون بول سارتر مثلا بحث عن معنى الأدب في كتابه " ما الأدب؟" متسائلا عن معنى الكتابة، ومعنى الأدب ذاته.

أما تودوروف في كتابه " مفهوم الأدب " أو " نظرية الأجناس الأدبية" فإنه يذهب إلى " الشك في مشروعية مفهوم الأدب، فليس من المسلم بالأدب وجود الكلمة أو كونها تستعمل في المؤسسة الجامعية. ويمكن أن نرى لهذا الشك أسبابا تجريبية أولا، فنحن لم نكتب التاريخ الكامل لهذه الكلمة". وقد أدى تطور النظرية الأدبية وتعدد المناهج النقدية إلى عدم استقرار مصطلح" الأدب" وإلى إضفاء محمولات جديدة عليه

ومن ثم نجد بعض المفاهيم الغربية تمييز بين الأدب التخييلي، الذي تنضوي تحته الرواية والقصة والشعر والمسرحية، وغير التخييلي ومنه المقال والسيرة الذاتية وغير الذاتية والنقد الأدبي وغيرها.

لكننا نتفق مبدئيا على أن الأدب ليس هو العلم وليس هو الفلسفة، وهو ليس منفصلا عن بقية الحقول المعرفية، ولانفتاحه على الثقافة. لكن ماعرفه مصطلح الإشكالات التي لاقاها مصطلح " الأدب" هي نفسها التي عرفها مصطلح " الثقافة" لدى العرب والغرب على حد سواء. ومع ذلك يمكن القول بأنها " نظام يتكون من مجموعة من المعتقدات والإجراءات والمعارف والسلوكات التي يتم تكوينها ومشاركتها ضمن فئة، والثقافة التي يكونها أي شخص لها تأثير قوي وهم على سلوكه"، وتدل الثقافة على مجمل السمات التي تضفي خصوصيات على مجتمع معين وتميزه عن غيره، ومن ذلك الدين والعادات والتقاليد والفنون والقيم وأنماط السلوك وغيرها.

**\_ الأدب والثقافة**:

الثقافة نظام كلي مركب، له مكونات عديدة، جعلت المختصين يقسمونها إلى قسمين مكونات مادية ومكونات لامادية.

ومن هنا سيكون مدخلنا نحو مقاربة العلاقة بين الأدب والثقافة؛ إذ يمكن اعتبار الأدب أحد المكونات اللامادية للثقافة، وفي الوقت ذاته فالأدب ذاته يتكئ على الثقافة. فلا يمكن الحديث عن نص من النصوص دون الحديث عن ثقافته، أي ثقافة النص. وبالمقابل لا يمكن الحديث عن الثقافة دون ذكر الأدب باعتباره مكونا من مكوناتها. ذلك أنه تسند إليه عدة أدوار نذكر منه:

* إعادة صياغة الذوق الجمالي العام، وتجديد الرؤى الفكرية والجمالية.
* ارتباط الأدب بمسألة الوعي المنبثقة عن حمولته الفكرية والرؤى والمضامين الإيديولوجية التي يتضمنها.
* الربط بين الإنسان والحياة.
* تحقيق المتعة وتطوير الذات لدى المتلقي وفتح حوار بينه وبين المؤلف.

ومن هنا يمكن القول أنه لا يمكن الفصل بين الثقافة والأدب، إذ لا ثقافة دون أدب ولا أدب دون ثقافة.

**المحاضرة الثامنة:**

**الأدب والفنون:**

**مدخل:**

تبدو علاقة الأدب بالفنون متشابكة ومعقدة في بعض أوجهها، أخذا وعطاء، حيث ترتبط المسألة أحيانا بالتجريب، وأحيانا بالانفتاح على هذه الفنون أو العكس، أو بطبيعة الجنس الأدبي ذاته، غير أن هذا لا ينفي وجود علاقات تبادل بين الأدب وبقية الفنون الأخرى على غرار الرسم والنحت والرقص والموسيقى، بل إن الأدب ذاته هو أحد فنون التعبير مادته اللغة، وهو أحد أقدم الفنون التي استعملها الإنسان للتعبير عن حاجاته الوجدانية والفكرية متخذا الكلمة وسيلة لذلك سواء عن طريق المشافهة أو الكتابة.

* **الأدب والسينما**:

أثارت علاقة الأدب بالسينما جدلا كبيرا، وهناك من رأى في السينما تهديدا للأدب ذاته، غير أن الذي حدث كان على النقيض من ذلك، فقد استمدت السينما كثيرا من الأفلام الناجحة من روايات معروفة وفي بعض الأحيان غير معروفة، ويكفي أن نذكّر ببعض الأمثلة العشوائية من تاريخ الأدب والسينما كرائعة الروائية الأمريكية مارغريت ميتشل "ذهب مع الريح" والسيميائي الإيطالي "أمبرتو إيكو" "اسم الوردة".

أما في الرواية العربية فتعد روايات نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي مصدرا هاما استمدت منه السينما والتلفزيون الكثير من الأفلام والمسلسلات ويكفي أن نذكر "عمارة يعقوبيان" لعلاء الأسواني.

بالنسبة للأدب الجزائري فإن إفادة السينما من النصوص الأدبية قليلة لأسباب كثيرة، لكن هذا لا يعني انعدام التجارب الناجحة في هذا المجال ورواية" ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة خير مثال على ذلك، و"ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي التي عرضت بشكل مسلسل تلفزيوني.

وما يقال عن الرواية والسينما يمكن أن ينطبق على الرواية والمسرح، فكم من الروايات تحولت إلى مسرحيات ويكفي أن نستدل برائعة الطاهر وطار" الشهداء يعودون هذا الأسبوع. بل ويمكن أن نقول بأن الاقتباس من الأدب العالمي يكاد يشكل المصدر الأساسي للمسرح الجظائري خاصة أعمال "أنطوان تشيكوف".

ولو عدنا إلى نشأة المسرح العربي وخاصة في أطوار تأسيسه الأولى لوجدنا أنّه اعتمد على نصوص أدبية اقتبسها من الأدب الفرنسي ثم كيفها مع طبيعة البيئة العربية، وقد كانت مسرحية " البخيل " لموليير" أو الأعمال التي عرضها مارون عبود، واستمد حافظ ابراهيم نصه "ليالي سطيح" من رواية "البؤساء" لفيكتور هيجو.

* **الأدب والموسيقى والغناء:**

علاقة الأدب بالغناء والموسيقى قديمة، إذ يمثل الغناء أحد العناصر الستة في المسرح اليوناني.

ولو عدنا إلى الشعر العربي القديم لوجدناه يوسم بسمة الغنائية والوجدانية، وهذه القيمة هي إحدى إفرازات النقد الفني، وهذه السمات تربطه مباشرة بفني الغناء والموسيقى، فالشعر العربي في أساسه يقوم على نوعين من الموسيقى داخلية وخارجية، فتجاور الألفاظ وتآلف الحروف بالإضافة إلى الوزن والقافية، ثم انسجام هذه العناصر مع بعضها واستجابتها للحالة الشعورية للشاعر هي ما يكون موسيقى الشعر. بمعنى آخر أن الموسيقى هي إحدى مكونات الشعر، ويمكن أن ينسحب ذلك على النثر المسجوع \_ كما هو الحال في فن المقامات- فتوافق الفواصل غايته إحداث نغم موسيقي من شأنه التأثير في المتلقي.

ولو أردنا التوسع أكثر وحاولنا استقصاء علاقة الشعر بالغناء والموسيقى باعتبارها فنونا مستقلة عن بعضها لوجدنا أن العلاقة بينها وثيقة، إن المقطوعة الموسيقية " شهرزاد" لرامسكي لينيكوف هي تجسيد موسيقي لبطلة "ألف ليلة وليلة". ولا ننسى الكثير من القصائد الشعرية كانت تلحن وتغنى سواء في مجالس الخلفاء والأمراء والأعيان أو في مجالس خاصة مصحوبة بآلات موسيقية. وتاريخ الأدب ومصادره تورد نماذج كثيرة عن ذلك.

وفي العصر الحديث مع ازدهار حركتي الغناء والموسيقى على أيدي كبار الملحنين والفنانين كانت قصائد كبار الشعراء هدفا لخلق روائع فنية تتواءم فيها الموسيقى والغناء والشعر، ويكفي أن نستدل على ذلك بقصائد أحمد شوقي التي أدتها أم كلثوم سواء بتلحين محمد القصبجي أو غيره" مثل ولد الهدى" أو قصائد أحمد رامي التي كانت حكرا على أم كلثوم. أو قصائد نزار قباني التي لحنها بليغ حمدي وأداها عبد الحليم حافظ " كقارئة الفنجان". والأمثلة كثيرة جدا في هذا الباب يمكن العودة إليها على مختلف الوسائط.

كما أن للأدب علاقة بالنحت ويظهر ذلك من خلال تناول الشعراء والكتاب لتمثيل بالوصف، ولتناول نحاتين لنماذج مأخوذة من نصوص أدبية ونجد هذا في الآداب الأوروبية المستمدة من الآداب اليونانية، بل إن أسطورة "بيجماليون" التي تتناول قصة تمثال وكيف استثمرتها مختلف الآداب العالمية، و مسرحية توفيق الحكيم الموسومة بالعنوان ذاته "بيجماليون" تعالج جدلية الفن والفلسفة.

و الأمر نفسه بالنسبة لفن الرسم، حيث كثيرا ما نجد لوحات تشكيلية اتخذت أغلفة للدواوين الشعرية أو الروايات، أو داخل متونها.

ويمكن القول في الأخير بأن الأدب التفاعلي يمثل جامعا لمختلف الفنون، إذ تجتمع في النص الواحد مختلف المؤثرات الفنية، كالموسيقى والصورة والأغنية واللوحة الفنية والمسرحية والقصيدة.

**المحاضرة التاسعة:**

**الأدب والاتجاهات الفكرية**

**تمهـــــــــيد:**

ظهر منذ مطلع العصر الحديث عديد الاتجاهات الفكرية التي وسمت الحياة بسماتها، وانعكست في المنتجات الأدبية والفلسفية والفنية. فماهي أهم الاتجاهات الفكرية التي سادت؟

بعد حملة نابليون على مصر واتصال العرب بالحضارة الغربية عن طريق جملة من القنوات كالبعثات العلمية وحركة الترجمة والاستشراق وظهور المجامع اللغوية وازدياد عدد المدارس والجامعات والمعهد التعليمية فلا عن ظهور المطابع والصحف، كل هذه أدت إلى ظهور ما يعرف بالنهضة العربية التيسعت لتحقيق عدة غايات منها الخروج من ربقة التخلف. غير أن ذلك اصطدم بواقع أضد مرارة هو وقوع كثير من أقطار البلاد العربية بين فكي الاستعمار الفرنسي أو الإنجليزي والإيطالي.

وقد كان سؤال النهضة المركزي هو كيفية التحرر من ربقة الاستعمار والتخلف. وللإجابة عن هذا السؤال الذي أثار الكثير من الحبر ومازال لم يجد إجابة عنه، انقسم أصحابه إلى فريقين دعاة الأصالة ودعاة المعاصرة أو المحافظين والمجددين، وقد حددها محمد عابد الجابري بأنها " مشكل الاختيار بين النموذج الغربي في السياسة والاقتصاد والثقافة إلخ ، وبين "التراث" بوصفه يقدم أو بإمكانه أن يقدم نموذجا بديلا و"أصيلا" يغطي جميع ميادين الحياة المعاصرة.

لهذا قسم دعاتها إلى ثلاثة اتجاهات هي:

\_ دعاة الأصالة: وهؤلاء يرون في العودة إلى المنابع الأولى للإسلام الأداة المثلى لتحقيق غايات التطور، من أجل الحفاظ على شخصية الأمة وهويتها، وقد جسد هذا الاتجاه دعاة الحركة الإصلاحية التي تزعمها في المشرق محمد عبدو زجمال الدين الأفغاني ورشيد رضا. وفي الجزائر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ساعية إلى تحرير الإسلام من البدع والخرافات التي لحقته بسبب تفشي الجهل ومساعي الحركة الاستعمارية لطمس معالمه.

\_ دعاة المعاصرة: وهؤلاء يدعون إلى تبني النموذج الغربي المعاصر بوصفه نموذجا للعصر كله، أي " النموذج الذي يفرض نفسه تاريخيا كصيغة حضارية للحاضر والمستقبل".

* دعاة الانتقائية: وتدعو هذه الفئة إلى الأخذ بأحسن ما في النموذجين معا والتوفيق بينهما في صيغة واحدة تتوافر لها الأصالة والمعاصرة.

غير أن هذه الاتجاهات كثيرا ما تتداخل من حيث الغايات على الرغم من اختلافها الإيديولوجي ومنطلقاتها الفكرية والفلسفية.

ويذهب الجابري إلى أنه كثيرا ما نجد من بين دعاة المعاصرة " من يحملون إيديولوجيات ذات مضامين ليبيرالية وآخرين يبشرون بإيديولوجيا اشتراكية، تطورية إصلاحية أو ماركسية لينينية، كما نجد فيهم صاحب النزعة القطرية الضيقة، وداعية القومية العربية" والأمر كذلك بالنسبة لدعاة الأصالة الذين تتوزعهم عدة اتجاهات، فمنهم السلفيون الذين الرافضون لكل نظم العصر ومؤسساته وثقافته باعتباره عصر "جاهلية" يجب التخلي عنه والعودة إلى النهج الأصيل المتمثل في عصر الرسول- صلى الله عليه وسلم- وسلفيين معتدلين يقبلون من العصر وثقافته ما يتماشى مع قيم الإسلام وشريعته، ومؤولين "يدعون إلى البحث عن نظم الحضارة العربية الإسلامية وقيمها عن أشباه ونظائر في الحضارة المعاصرة وقيمها".

ومازالت هذه التيارات الفكرية هي نفسها وإن اختلفت التسميات خاصة بالنسبة لدعاة المعاصرة الذين تبنوا الاتجاهات ما بعد الحداثية وما تحمله من قيم تنزع نحو التمرد والتقويض والخروج عن المألوف.

**المحاضرة العاشرة**:

**النظرية الأدبية في التراث**

مدخل:

تعددت النظريات في تراثنا العربي الإسلامي، بين لغوية ونحوية وبلاغية وفلسفية وأدبية.

وعلى الرغم من كون الفلسفة اليونانية مرجعا هاما من مراجع هذه النظريات، فإن النظرية الأدبية لم تقف عند حدود ما قدمه أرسطو بل تجاوته، وجعلت من النتاج الأدبي العربي مادتها التطبيقية.

ويمكن أن نذكر من النظريات التي شغلت المهتمين بحقل الشعر والبلاغة والإعجاز والأدب عامة:

* نظرية اللفظ والمعنى.
* نظرية عمود الشعر.
* نظرية النظم.
* نظرية التخييل.

وسنكتفي في محاضرتنا هذه بالوقوف عند نظرية التخييل لدى حازم القرطاجني.

1. نظرية التخييل لدى حازم القرطاجني:

التخييل من المسائل التي شغلت الفلاسفة والنقاد المسلمين، سواء أكان تخييلا إنسانيا أو تخييلا شعريا، من حيث مفهومه وكيفية حدوثه وأثره على المتلقي، متكئين على موضوعة المحاكاة والتخييل التي عني بها أرسطو. فقد تحدث الفارابي (ت 339 ه)عن الأثر الذي يتركه العمل الأدبي في نفس المتلقي الذي "يعرض لنا عند استماعنا للأقاويل الشعرية عند التخييل الذي يقع عنها في أنفسنا". وقد تأثر به ابن سينا (ت 428 ه) الذي رأى في التخييل عملية مستمرة تعمل على استعادة الصور المختزنة وتقوم أساسا على المحاكاة إذ يرى سعد مصلوح أن:

* المحاكاة هي وسيلة التخييل تقوم على التحسين أوالتقبيح أو المطابقة.
* التخييل لا يناقض الصدق.
* التخييل عن طريق المحاكاة يتم بتحريك النفس دون رؤية أو إعمال فكر.
* التخييل هو قوام الشعر.

أما ابن رشد (ت 596 ه) فعدّ التخييل الشعري جوهر الشعر والمحاكاة مرادفة للتخييل لكنه أضاف التشبيه أو المطابقة للتخييل.

واعتمادا على هذه الآراء جاء حازم القرطاجني(ت 684 ه) وتبنى بعضها وأهمل بعضها الآخر ووضع أنضج نظرية في التراث العربي الإسلامي حول التخييل في كتابه المعروف " منهاج البلغاء وسراج الأدباء" إذ يقول في هذا المقام :" إن الاعتبار في الشعر إنما هو التخييل في أي مادة اتفق لا يشترط في ذلك صدق ولا كذب، بل أيما ائتلفت الأقاويل المخيلة منه فبالعرض"، مركزا على التخييل الشعري الذي هو جوهر العملية الشعرية ونوع من النشاط التصويري الذي يوجهه الشاعر إلى متلقيه مخاطبا الجانب الوجداني الانفعالي فيه، أي أن" يتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه أو نظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل بها وتصورها أو تصور شيئا آخر لها انفعالا من غير رؤية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض". هذه الفعالية النفسية تحدث في نفس السامع أو المتلقي عن طريق عناصر العر المختلفة والتي يطلق عليها حازم اسم الأنحاء وهي:

* اللفظ/ المعنى/ الأسلوب/ النظم/ الوزن.

ولا يحدث التخييل إلا بتفاعل نفس وذهن المتلقي مع مكونات الخطاب وصورته. لهذا يقسم التخييل الشعري إلى قسمين:

* تخييل ضروري.
* تخييل ليس بضروري (أكيد ومستحب)

" والتخاييل الضرورية هي تخاييل المعاني من جهة الألفاظ والأكيدة والمستحبة تخاييل اللفظ في نفسه وتخاييل الأسلوب وتخاييل الأوزان والنظم".

ولأن التخييل هو جوهر عملية الشعرية، فقد جعل له أغراضا وغايات ذلك أن " الأقاويل الشعرية لما كان القصد بها استجلاب المنافع واستدفاع المضار ببسطها النفوسإلى ما يراد من ذلك وقبضها عما يراد يخيل لها فيه من خير أو شر. وكانت الأشياء التي يرى أنها خيرات أو شرور منها ماحصل ومنها ما لم يحصل، وكان حصول ما في شأنه أن يطلب يسمى ظفرا، وفوقه في مظنة الحصول ما يسمى إخفاقا، ويسمى القول بالإخفاق إن قصد تسلية النفس عنه تأسيا وإن قصد تحسرها تأسفا".

وحسب سعد مصلوح فإن أغراض الشعر عند حازم القرطاجني تنقسم إلى:

* تهان وما معها.
* تعاز وما معها.
* مدائح وما معها.
* أهاج وما معها.

وفضلا عما سبق فقد واجه قضية الصدق والكذب التي شغلت سابقيه، جاعلا التخييل الشعري الفاصل بين الشعر والخطابة" الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحببه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه لما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو قوة شهرته أو بمجموع ذلك، وكل ذلك يتأكد لما يقترن من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس ، إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوى انفعالها تأثرها".

من هنا فإن للشعر غايات يصبو لتحقيقها كتحبيب أمر إلى النفس أو تكريهه ولن يتأتى له ذلك إلا بالتخييل الذي يعمل على تحريك نفس المتلقي والتأثير فيه.